

الخطبة الثالثة : بم نستعد لرمضان ؟ وكيف نستفيد منه ؟

بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ،
أقول - سائلا منه سبحانه التوفيق والقبول - :
● أيها الإخوة والأخوات : إن من الموافقات الطيبة ، تزامن - أو تقارب - افتتاح هذا
المسجد المبارك ، مع قدوم شهر رمضان المعظم .. وهو أمر له مغزاه العميق ، وأثره
الطيب على الراغبين في الإستفادة من رسالة المسجد ..
ورسالة المسجد - كما هو معلوم - متعددة الأغراض ، ولكنها تتركز - بالدرجة الأولى -
على التربية ، ورمضان شهر التربية ..
ونقصد بالتربية : تربية الإنسان ، ونخص منها بالذكر : الجانب المعنوي فيه ..
إذ الإنسان حفنة من طين الأرض ، ونفخة من روح الله ..
وإنما تتحقق تربية هذا الجانب في الإنسان بالعلم الذي يتبعه العمل ، ونقصد بالعلم :
العلم بالله تعالى وبما ينبغي لجلاله ، وبما يحب من عباده .. ومصدر هذا العلم الوحي
النازل من السماء ، قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ..) ..
ويبدأ العمل به من إزالة الخبث والحدث عن الأجسام بالوضوء والغسل ، وعن النفس
بالنية والطاعة لله عز وجل : بفعل ما يحب ، وترك ما يكره .
بهذا يتربى الإنسان ويتزكى ، وينمو فيه الخير ويقوى ، إلى أن يصبح أهلا لكرامة الله
عز وجل .. أما الجسم الخبيث النابت لحمه من حرام ، والأعضاء التي ما ركعت لله ،
ولا سجدت ، فأولى بها النار ، قال تعالى : (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك
كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون) .
● أيها الإخوة والأخوات : إن شأن " التربية " عظيم ، ودور " المسجد " فيها أعظم
والسعي للتحقق بها في " رمضان " يزيدها بركة وعظمة !
ومن أجل ذلك ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا دخل رجب - يدعو ويقول :
(اللهم بارك لنا في رجب وشعبان ، وبلغنا رمضان) ، وكان يقول لأصحابه - إذا أقبل
رمضان - : (جاءكم المطهر ، جاءكم المطهر ..) ، ولا عجب ، فرمضان بمثابة حمام
يتطهر فيه من دنس نفسه - قبله - بما وقع منه من آثام ! - وهو أيضا فرصة يتزود فيه
من تخلف عن الركب بما يمكنه من اللحاق بأهل السبق ، والفوز بجائزتهم !
فما أحرى أيامه بالتتي قال عنها - عليه الصلاة والسلام - : (إن الله في أيام الدهر نفحات
فتعرضوا لها ، فاعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا) صحيح الجامع .
● أيها الإخوة والأخوات : إن من عرف فضل هذا الشهر وخيره ، وعرف فضل
الله عز وجل فيه على عباده ، لا يسعه - وقد أقبل رمضان - إلا أن يستعد لقدمه ، وأن
يعد فيه نفسه للحصول على نصيبه من فضله وخيره ، وأول ما ينبغي من ذلك :
الإستبشار بقدمه ، والفرح لبلوغه ، وتبادل التهئة - مع الأحبة - به ، وحمد الله على
ذلك كثيرا كثيرا ، فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبشر أصحابه بقدوم
رمضان ويقول : (قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كتب الله عليكم صيامه ،
تفتح فيه أبواب الجنان ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير
من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم) النسائي وأحمد .
وقد أثر عن السلف (ض) أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، فإذا
كانوا في الأمنية اجتهدوا فيه بطاعة الله تعالى : التماسا للأجر ، وطلبا للمغفرة ، فإذا

خرج رمضان دعوا ربهم ستة أشهر أخرى أن يتقبله منهم ، قال يحيى ابن أبي كثير :
كان من دعائهم : اللهم سلمني إلى رمضان ، وسلم لي رمضان ، وتسلمه مني متقبلا .
توطين النفس وعقد العزم على اغتنام هذا الشهر في تحقيق جملة أمور :

أ - على صيام أيامه وقيام لياليه الصيام والقيام المطلوبين : بتحقيق شرطي القبول لهما
من الله تعالى ، ثم بترك ما يعرضهما للنقصان أو البطلان - بعد ذلك - من النيات
والأقوال والأعمال المخلة بحرمة الصيام وشهر الصيام ، قال تعالى : (فمن كان يرجو
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقال صلى الله عليه وسلم :
(الصوم جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل ..) .

ب - على اغتنام أيامه ولياليه - بل ساعاته وثوابه - فيما يزيد في " رصيد العبد " من
الحسنات ، وذلك بالإستزادة من " الطاعات " بمختلف أصنافها - التي يضاعف أجرها
في رمضان ، ففي صحيح مسلم : (كل عمل ابن آدم يضاعف - في رمضان - الحسنه
بعشر ، إلى سبعمائة ضعف ..) .

ج - على الإجتهد للفوز بجائزته الكبرى ، وهي العتق من النار! . والله في كل يوم من
أيام رمضان عتقاء ، ففي حديث الترمذي وابن ماجه : (.. والله عتقاء من النار وذلك
كل ليلة ..) .

د - على التزود فيه بما يجعل المسلم - عند خروج رمضان - أحسن حالا وأفضل من
التي كان عليها - قبل دخوله - واستصحاب تلك الحال إلى رمضان القابل ! .
" غير أن هذه العزائم ، تحتاج إلى حوافز تحمل النفس على العمل لها ! . وكثير من
الناس يعقد الأمل بفعل جملة من الطاعات في شهر رمضان ، فإذا جاء رمضان أصبح
خبيث النفس كسلان ، وذلك ، لأنه لم يعد العدة ، وقد قال تعالى : (ولو أرادوا الخروج
لأعدوا له عدة) .

- ونعني بالعدة هنا : حل عقدة العادة والكسل ، فإن " العزيمة " لا تكون إلا فيما لا تألفه
النفوس أو لا تحبه " ، إذ النفس - من طبيعتها - أنها كسلى ، نزاعة للشر ، مجبولة على
الشح ، كما قال تعالى : (وأحضرت الأنفس الشح) والشح كما يكون بخلا بالمال ، يكون
بخلا بالعمل ، وهو الذي عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (البخيل من ذكرت
عنده فلم يصل علي) الترمذي وقال : حسن صحيح .

ومن هنا كانت بداية البداية علاج النفس من هذه الآفة ، وذلك بحملها على ما تكره ، أو
على ما لم تألفه حتى تألفه وتحبه ، وقد قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وإن الله لمع المحسنين) .

● ومما يدخل في العدة اللازمة لتنفيذ تلك العزائم الطيبة : التوبة أو تجديدها ! .

وحقيقتها : شعور الوجدان بالندم على ما كان ، مع الإقلاع عنه في الحال ، والعزم
على تركه في المستقبل .. يصدق ذلك إقبال التائب على ربه : بفعل طاعته ، واجتناب
معصيته . وأهم شروطها : رد المظالم إلى أهلها .. وهي - إن صحت وصدقت - محت
ما قبلها من الذنوب ، حتى يصير التائب من الذنب كمن لا ذنب له ..
- لذا كان حريا بمن أسرف على نفسه قبل رمضان - فأفرط أو فرط - وكلنا يصدق عليه
ذلك - أن يجعل من هذا الشهر الكريم ، نقطة انطلاق ، للصلح مع الله ، والتوبة إليه ،
قال تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

- وكذلك من استحكمت فيه عادة سيئة ، مثل شرب الدخان ، فإن رمضان فرصة سانحة
للتخلص منها ، لأنه شهر حمية : حيث يتمتع المسلم - في نهار رمضان - عن الشهوات

الأولية ، من طعام وشراب وجماع ، وهذا يربي فيه إرادة تمكنه من الإمتناع عما سوى ذلك من الشهوات الضارة / المحرمة ، ومنها شهوة شرب الدخان !.

- و أنصحك أخي - وكلنا هذا الأخ - أن تضع بينك وبين نفسك ، بيانا لذنوبك و عيوبك ، وأن تبدأ علاجها - جديا - في هذا الشهر ، ومن حرم بركة رمضان ، فلم يبرأ - فيه - من ذنوبه و عيوب نفسه ، فأنى له أن يبرأ منها في غيره ؟ جاء جبريل عليه السلام يوما إلى النبي صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر - فقال : يا محمد ، من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له ، فدخل النار ، فأبعده الله ، قل : آمين . فقلت : آمين . صحيح ابن خزيمة .

● ومما يدخل في الإعداد أيضا : نبذ البطالة والبطالين ، ومصاحبة الأخيار المجددين فإن صاحب صاحب ، والقرين بالمقارن يقتدي ، وهذا خير الخلق صلى الله عليه وسلم يأمره ربه بصحبة المجددين ، ونبذ الغافلين ، فيقول : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه .. ولا تطع من أغفلنا قلبه واتبع هواه ..)

ولما أراد قاتل المائة أن يتوب إلى الله حقا ، قيل له : أترك أرضك فإنها أرض سوء ، واذهب إلى أرض كذا ، فإن بها أناسا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم .. وفي الحديث : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال) أحمد وأبو داود .

● ومما يدخل في الإعداد كذلك : الإجتهد لتذوق عبادة الصوم - خصوصا - وتذوق حلاوة الطاعات - عموما .

- ولما كان (الصيام نصف الصبر) كما ورد في صحيح ابن خزيمة ، وجب على من أراد أن يتذوق حلاوة الصوم ، أن يتذوق - قبل ذلك - حلاوة الصبر ، قال تعالى : (وما يلقاها إلا الذين صبروا) وقال عليه الصلاة والسلام : (.. ما أعطي أحد عطاء هو خير وأوسع من الصبر) م . عليه . ولا عجب ، فبالصبر يقوى العبد على الطاعة ، وبالصبر يقوى على ترك المعصية ، وبالصبر يتقوى على ما قد ينزل به من الآفات !.

والصبر يكتسب ، كما يفيد صدر الحديث السابق : (.. ومن يتصبر يصبره الله ..) م . ع - وكذلك من أراد أن يتذوق حلاوة الطاعات ، فإن عليه أن يتذوق - قبل ذلك - حلاوة الإيمان ، لأن حلاوة الطاعة ملاكها في جمع القلب على الله سبحانه ، وهذا يقتضي أن نبدأ من القلب ، لأنه محل الإيمان ، والإيمان هو الباعث على الطاعة ، وهو المورث للخشوع فيها ، قال تعالى : (إنما المومنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم أيما) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا) رواه مسلم .

وقال الحسن البصري رحمه الله : تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة ، وفي الذكر ، وقراءة القرآن ، فإن وجدتم ، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق ! . مدارج السالكين غير أن الإيمان لا يثبت على حال واحدة ، ولكن يعتريه ما يفتنه ، وما يعرضه للنقص والضعف ! . ومن ثم وجب تجديده باستمرار ، كما أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم) الطبراني ..

نسأل الله تعالى أن يحبب إلينا الإيمان ، وأن يزينه في قلوبنا ، وأن يثبت قلوبنا عليه .. آمين آمين آمين . أقول ما تسمعون ، و الحمد لله رب العالمين .

الحمد لله ، نحمده تعالى على نعمه الكثيرة : نعمة الخلق ، ونعمة الرزق ، ونعمة الإيمان ، ونعمة القرآن ، ونعمة رمضان .. ونصلي ونسلم على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة : سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هداه ، أما بعد :

● فإن مما ينبغي من الإستعداد لرمضان ، للإستفادة من بركاته ، والنيل من نفعاته : أن يستحضر المرء أنواع الطاعات التي عقد العزم على أدائها ، وأن يحاسب نفسه على إنجاز ما وعد ، وإتمام ما قصد ، من ذلك :

- فاحرص - أخي - على أن يكون صيامك كاملا ، ولا يكون كذلك إلا إذا صمت عن جميع ما نهاك الله عنه ، واحذر أن ينطبق عليك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش) أحمد وغيره .

- واحرص على أداء الصلوات الخمس في جماعة ، خصوصا منها : صلاتي العشاء والصبح ، فإن(من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله) مسلم .

- واحرص على صلاة التراويح ، وعلى ادائها بهمة ونشاط ، وتذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام : (.. وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) النسائي .

- واحرص على مجالس العلم والذكر التي تعقد في بيوت الله تعالى ، فإنها من المجالس التي يباهي الله بأهلها في الملأ الأعلى !.

- واحرص على أن يكون لك ورد يومي من القرآن ، وإن ختمت فهو أفضل ، وتذكر حديث : (من قرأ حرفا من كتاب الله ، فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها) الترمذي وهي في رمضان بعشر أمثالها في غيره - أي : بمائة - فاغتنم !.

- واحرص على أن تعقد في بيتك مجلسا أسريا ، يضم الزوجة والأولاد .. تقرأون فيه القرآن ، وتتدارسونه فيما بينكم ، وانقل إليهم ما عقلته من كلام العلماء وما استقدته من مجالستهم في المساجد ... الخ

● بهذا الإعداد - إخواني أخواتي في الله - أرجو أن نستفيد من رمضان ، وأن نستفيد معنا الأهل والأقارب والجيران .. بل وتمتد الفائدة إلى الأبعد بحول الله !.

قال ابن القيم رحمه الله : (.. إن العزائم والهمم سريعة الإنتفاض وقلما تثبت ، والله سبحانه يعاقب من فتح له بابا من الخير فلم ينتهزه بأن يحول بينه وبين قلبه وإرادته .. فمن لم يستجب لله ورسوله إذا دعاه حال بينه وبين قلبه وإرادته ، فلا يمكنه الإستجابة بعد ذلك !. قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ..) فكونوا - عباد الله - من ذلك على ذكر وحذر! نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، كما نسأله سبحانه أن يسلمنا إلى رمضان ، وأن يسلم لنا رمضان ، وأن يتسلمه منا متقبلا . آمين .

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه واتباعه إلى يوم الدين .